Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 31/ No. 5/ 2023 المجلد 31/ العدد5/ 2023

الإشارات البلاغيّة في تفسير السّعدي لسورة البقرة

ضحى عادل بلال ديما صالح بالحداد
جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل
doha.blal.1971@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 22 / 1 /2023 تاريخ قبول النشر: 12 / 2/2023 تاريخ نشر البحث: 15 / 5/ 2023

المستخلص

يدرس هذا البحث تفسير السعدي –رحمه الله– المعنون بـــ: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان) من الناحية البلاغيّة، مسلّطًا الضوء على المواضع الواردة في سورة البقرة بوصفها مدوّنة البحث، محاولًا الكشف عن منهج السعدي في إيراد البلاغة، مستخلصًا الإشارات البلاغية، التي بلغ عددها قرابة سبعين موضعًا، من اثني عشر مبحثًا بلاغيًّا؛ وقد اخترت المنهج الوصفي الإحصائي؛ من أجل قراءة تفسير السورة قراءة فاحصة، ورصد الإشارات البلاغية، وجمعها، ثم تصنيفها وتحليلها ومناقشتها؛ بهدف تيسير وصول الباحثين إلى لفتات السعدي البلاغيّة بصورة مستقلة ومنظمة.

الكلمات الدالة: البلاغة، الإشارات، السعدي، تفسير.

Rhetorical Indications in Al-Saadi's Interpretation of Surat Al-Baqara

Doha Adel Bilal Deema Saleh Balhadad
Imam Abdulrahman Bin Faisal University

Abstract

This research studies the interpretation of Al-Saadi - May Allah bless his soul - entitled: Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the gracious speech from the rhetorical point of view, highlighting the places mentioned in Surat Al-Baqara as the scope of the study, trying to reveal the approach of Al-Saadi - May Allah bless his soul - in stating rhetoric, extracting references Rhetoric, which numbered nearly seventy topics, from twelve rhetorical topics; Therefore, the descriptive analytical approach was chosen. In order to read the interpretation of the surah closely, monitor the rhetorical signs, collect them, then classify, analyze and discuss them with the aim of facilitating the researchers' access to the rhetorical gestures of Al-Saadi - May Allah bless his soul - in an independent and organized way.

Keywords: rhetoric, signs, Saadi, interpretation.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بسم الله الرحمن الرحيم

1 – المُقدّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وبعد[*]:

يرتبط علم التفسير بعلوم اللغة العربيّة ارتباطًا وثيقًا، ولا سيّما علم البلاغة؛ فهو مفتاح من مفاتيح الكشف عن المعاني القرآنية؛ إذ لا يكاد يخلو تفسيرٌ من مسائل بلاغية مطروحة في ثناياه، ولو كان تفسيرًا معاصرًا ومختصرًا، كما هو الحال في تفسير السعدي[1:ج3/ 340] المعنون بـــ: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان)، وإن لم يكن المُفسّر يقصد التفسير البلاغيّ ابتداءً، إلا أنه لا غنى له عنه، فجاءت فنون البلاغة في مواضع شتى، وبإشارات يسيرة يُدركها دارس هذا العلم، كأن يذكر مصطلحًا بلاغيًا، أو يذكر سرًّا بلاغيًّا، أو أيَّة إلماحةٍ يسيرة تُنبيك عن اتكاء السعدي على البلاغة في استخلاص معنى الآية، في حين أنها قد لا تظهر للعامة؛ لأنه يقدم لطائفه البلاغية في أوضح عبارة وأقصرها وأيسرها، مضمنة في سياق الكلام، وهي على قلّتها –مقارنة بحجم الكتاب– وتفرقها، جليلة القدر، عظيمة النفع، جديرة بالمناقشة والجمع؛ فجاءت فكرة البحث بأن يكون جامعًا لها، مبيّنًا قيمتها، مستندًا على المراجع الأصيلة، وكلام العلماء السابقين منهم والمعاصرين، وفق منهج علمي؛ بدءًا بالاستقراء والجمع، ثم الإحصاء، ثم عرض موجز للفنون الواردة في التفسير؛ موضحًا ما يلزم ذكره منها بحسب المقام، ثم إيراد نماذج من ظهورها لدى السعدي، إضافةً إلى ملحقات البحث ومكمّلات الاستفادة منه: رسم بياني إحصائي، رسم توضيحي شجري لأبرز فنون البلاغة مع تحديد ما ورد منها ومالم يرد، وسرد للمصطلحات البلاغية الواردة في التفسير، مع محاولة استنباط منهج السعدي في ذلك.

1.1. مشكلة البحث: وجود مسائل بلاغية منثورة في تفسير السعدي.

2.1. أسئلة البحث:

- ما المسائل البلاغية الواردة في تفسير السعدي؟
- هل كان للسعدي منهج في إيراد المسائل البلاغيّة؟

3.1. أسباب اختيار الموضوع:

- عدم التفات الباحثين إلى الجانب البلاغي في التفسير.
- تجلي الإشارات البلاغية لقارئ التفسير ولفتها انتباهه.

---

[*]عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم)، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨)، له نحو ٣٠ كتابا، منها الكتب المطبوعة الآتية: (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن) ثلاثة أجزاء منه، وهو في ثمانية، و(تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن) في مجلد، و(القواعد الحسان في تفسير القرآن)، و(طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول)، و(الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) رسالة، و(القواعد والأصول الجامعة) في أصول الفقه، و(التوضيح والبيان لشجرة الإيمان) رسالة، و(الدرة البهية) شرح للقصيدة التائية لابن تيمية، و(الخطب المنبرية) مجموعة من خطبه، و(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة) مختصر، و(توضيح الكافية الشافية لابن القيم) شرح لها. وصدر بعد وفاته كتاب (سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي) لبعض مريديه (٢).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

- نفاسة اللطائف البلاغية الواردة في التفسير مع تفرقها.
- يسر أسلوب السعدي ومناسبته للعامة في إيراد البلاغة.

4.1. أهداف البحث:

- استخلاص الإشارات البلاغية الواردة في التفسير.
- استنتاج منهج السعدي في إيراد البلاغة.

5.1. أهمية البحث:

- تبرز أهمية البحث من أهمية العلوم المنطلق منها، وهي علم التفسير وعلم البلاغة، وكلاهما علم يسعى إلى معرفة مراد الله –سبحانه وتعالى– من الآيات القرآنية على أصح وجه وأدقه.
- قيمة تفسير السعدي العلمية، فهو تفسير لقي القبول لدى العلماء وعامة الناس؛ عباراته موجزة، ومعانيه شاملة ووافية.
- جِدة موضوع البحث، والحاجة إليه؛ لقلة الدراسات حول تفسير السعدي.
- تسليط الضوء على المسائل البلاغية المبثوثة فيه بجمعها وتنظيمها، حتى يسهل الرجوع إليها والاستفادة منها.

6.1. منهج البحث: المنهج الوصفي الإحصائي، ويتمثل في قراءة تفسير السورة قراءة فاحصة، ورصد الإشارات البلاغية، وجمعها، ثم تصنيفها وتحليلها ومناقشتها.

7.1. الدراسات السابقة:

- منهج الشيخ السعدي في تفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ناصر العبد سليم المرنخ، الجامعة الإسلامية بغزة، 1423ه – 2002م (رسالة ماجستير).

سعت الدراسة إلى بيان منهج الشيخ السعدي في تفسيره، وإبراز شخصيته للقراء، وبيان مكانة هذا التفسير الدعوية بين التفاسير، وتوصل الباحث إلى عرض تفصيلي لمنهج الشيخ السعدي في التفسير، مع بيان شخصية الشيخ السعدي في تفسيره. ضمّن الباحث رسالته عدة مباحث وفصول تخدم البحث، ومنها: الفصل الأول (ترجمة السعدي)، والفصل الرابع – المبحث الأول (أصول التفسير بالرأي)، وقد وضح فيه منهج السعدي في المطلق والمقيد، والعام والخاص، والمجمل والمفصل، وعلم المناسبات، والمبحث الثاني من الفصل ذاته (التفسير اللغوي) تحدث فيه عن عرض السعدي للأساليب البلاغية، والأسرار البيانية، والنحو والإعراب، وعنايته بالأمثال في القرآن، والفصل السادس – المبحث الأول (محاسن تفسير السعدي) الذي تحدث فيه عن اهتمام السعدي بضرب الأمثال، والنحو والإعراب.

تلتقي هذه الرسالة مع البحث في دورانهما حول تفسير السعدي، غير أنه سيسلط الضوء على البلاغة وحدها في تفسيره.

- استنباطات الشيخ عبد الرحمن السعدي من القرآن الكريم (عرض ودراسة)، سيف الحارثي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430ه–1431هـ (رسالة دكتوراه).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

هدفت الرسالة إلى دراسة استنباطات الشيخ السعدي في تفسيره، من خلال تتبع استنباطاته ودلالاتها وتصنيفها، متبعة المنهج الاستقرائي التحليلي، وتوصل الباحث إلى نتائج عدة، منها: تنوع الاستنباطات عند السعدي، فلم تكن في فن واحد بل في فنون مختلفة، ورتبها الباحث وجعل الاستنباطات اللغوية آخرها، ضمّن الباحث رسالته فصلًا في موضوعات الاستنباط، وفيه مبحث بعنوان (الاستنباطات اللغوية) أفدتُ منه في هذا البحث.

تلتقي هذه الرسالة مع البحث في دورانها حول تفسير السعدي، غير أنه التفت إلى الاستنباط بالكلية، وتطرق إلى استنباطات السعدي اللغوية، وهذا البحث يعنى بالبلاغة.

8.1. خطة البحث: يقوم هذا البحث على خطة منهجية تتضمن :

1- المقدمة: تسليط الضوء على عنوان البحث وأهميته، وتساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

2- المحاور:

- المبحث الأول: بلاغة المفردة.
- المبحث الثاني: علم المعاني.
- المبحث الثالث: علم البيان.
- المبحث الرابع: التناسب.
- الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: بلاغة المفردة

عبّر البلاغيون عن بلاغة المفردة بوصفهم إياها بدقة التعبير، ودرسوا حروف المفردة، والمفردة ذاتها، فالحروف تُدرس من حيث معانيها، وكيفية إقامتها في الجملة، وللحروف عند النحويين أقسام ومسائل ومباحث متفرقة، ولا سيما حروف الجر، وهي:

مِن وَإِلَى وَفِي وَحَتَّى وعَلى .. وعَن ومنذُ كَمْ وحَاشَا وخَلا
والباءُ والكافُ إِذا مَا زِيدَا .. واللامُ فاحفَظْهَا تكنْ رَشيدَا
ورُبَّ أَيْضا ثمّ مُذْ فِيمَا حَضَرْ .. مِن الزّمانِ دونَ مَا منهُ غَبَرْ [2: 22]

درس البلاغيون الحروف من حيث معانيها، وكيفية إقامتها في الجملة، « إن قيل: ولِمَ جيء بالحروف؟ وما كانت الحاجةُ إليها؟ فالجواب أن حروف المعاني جُمَعَ جيء بها نيابةً عن الجمل، ومفيدةً معناها من الإيجاز والاختصار»[3:ج453/1]، أما إفادتها الاختصار فبما تحمله من معانٍ في طيّاتها، فالحرف يُفيد معنىً في ذاته، أو أكثر من معنى، و"العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني»[4:ج414/1]، فعلى سبيل المثال: «حروفُ العطف جيء بها عوضًا عن (أعطِفُ)، وحروفُ الاستفهام جيء بها عوضًا عن (أستفهمُ)، وحروفُ النفي إنما جاءت عوضًا عن (أنفي)، وحروف الاستثناء جاءت عوضًا عن (أستثني) أو (لا أعني)، وكذلك لامُ التعريف نابت عن (أُعَرِّفُ)، والتنوينُ ناب عن (خَفَّ)، وحروفُ الجر جاءت نائبة عن الأفعال التي هي بمعناها، فالباء نابت عن (أُلصِقُ)، والكاف نابت عن (أُشَبِّهُ)، وكذلك سائر الحروف، ولذلك من المعنى لا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يحسن حذف حروف المعاني كحروف الجرّ ونحوها؛ لأن الغرض منها الاختصار، واختصارُ المختصَر إجحافٌ»[3:ج453/1]، وهذا يدل على أن القرآن «ليس فيه حرف إلا جاء لمعنى»[5: 163].

بلغ عدد الإشارات الواردة في دقة اختيار الحرف سبعة إشارات، والحروف التي وقف السعدي على معناها هي: (من) التي تفيد التبعيض في موضعين [6:ج185/1] ، (على) الدالة على الاستعلاء، (في) الدالة على الانغماس[6:ج27/1] ، الفعل (استوى) وتغيّر معناه بحسب الحرف الذي يُعدّى به، فإذا عُدّي بحرف الجر (إلى) أفاد معنى القصد، وإذا عُدي بحرف الجر (على) أفاد معنى العلو والارتفاع، وإذا خلا من الحروف أفاد معنى الكمال والتمام، وذكر معنى (اللام) التي تفيد التخصيص[6:ج53/1] ، ومعنى (أو) التي تفيد المساواة وزيادة، (ونوّه في هذا الموضع إلى أن(أو) ليست التي بمعنى(بل)، وهذا يدل على شدة عناية الشيخ بمعاني الحروف؛ لأن معنى الآية متوقف عليها، وسيختلف باختلاف تفسير معنى الحرف) [6:ج69/1] وذكر حرف الجر (من) مرةً أخرى، لكن في سياق يفيد معنى العموم[6:ج48/1].

وأما بلاغة المفردة فتظهر في صور شتى، منها: إيثار التعبير بالاسم دون الفعل، أو الجملة الاسمية دون الجملة الفعلية لمعنى مراد ومقصود، والتعبير بالحقيقة دون المجاز أو العكس، وإيثار بنية صرفية دون أخرى وما تحمله كل واحدة دون أختها، وفي هذا دلالة على أن القرآن بليغ كلّه، في حرفه ولفظه ونظمه، فــليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة»[5: 163] ، وليس فيه مفردة إلا وهي تفضل أختها في هذا الموضع، وما آثر القرآن ذكرها دون غيرها إلا لدقة التعبير، ومناسبتها دون غيرها على اتساع وثراء المعجم العربيّ.

أشار السعدي إلى دقة اختيار المفردة في عشرة مواضع، وبعد النظر فيها يمكن تقسيمها وتعليل دقتها بناء على مستويات اللغة الأربعة، فتكون: مفردة دقيقة لعلّة معجمية، أو لعلّة صرفية، أو لعلّة تركيبية، أو لعلّة صوتية، ولم يقف السعدي على الأخيرة.

- أولاً: العلة المعجمية، في أربعة مواضع: التعبير بإقامة الصلاة بدلًا من فعلها أو الإتيان بها؛ لأن إقامتها تعني إقامتها ظاهرًا بالأفعال، وباطنًا بحضور القلب وتدبر الأقوال [6:ج36/1]، ذكر الوجه بدلًا من البصر في قوله –تعالى-:﴿قد نرى تقلب وجهك﴾ [البقرة: 144]؛ لزيادة الاهتمام وللزوم تقليب الوجه البصر[6:ج105/1]، ذكر الأهواء بدلًا من الدين في قوله –تعالى-: ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم﴾ [البقرة: 120] "لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين" [٦:ج١/ ١٠٦] ، اختيار القربان من حدود الله بدلًا من فعلها؛ للشمولية] 6:ج139/1]. وهاهنا نلاحظ أن السعدي يسوّغ الاختيار القرآني – في معظم المواضع-، بل يذكر السر البلاغيّ لهذا الاختيار.
- ثانيًا: العلة الصرفية، في موضعين: اختيار اسم الفاعل الدال على الثبوت في قوله –تعالى-: ﴿ نحن له عابدون﴾ [البقرة: 138]، الإتيان بأفعل التفضيل في قوله –تعالى-:﴿ترك خيرًا﴾ [البقرة: 180] والمقصود بالخير هو المال الكثير، لذلك عبّر عنه بأفعل التفضيل[6:ج1/١٣٤] .

ثالثًا وأخيرًا: العلة التركيبية، في أربعة مواضع: قوله –تعالى-: ﴿أول كافر به﴾ [البقرة: 41] بدلًا من: لا تكفروا به؛ لأن فيه تعبيرًا عن مبادرتهم إلى الكفر [6:ج59/1]، وقوله –تعالى-: ﴿ فبدل الذين ظلموا﴾ [البقرة: 59] بدلاً

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

من: فبدلوا؛ لأنهم لم يكونوا جميعًا قد بدلوا، وقدرها (فبدل الذين ظلموا منهم)[6:ج63/1]، قوله –تعالى–: ﴿وما أنت بتابعٍ قبلتهم﴾ [البقرة: 145] بدلًا من: لا تتبع؛ "لأن ذلك يتضمن أنه –صلى الله عليه وسلم– اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه" [6:ج106/1]، وفي هذين الموضعين يصرّح بأن الاختيار القرآني (أبلغ) من أي تركيب آخر، ولو استقام المعنى، مع التعليل البلاغي لذلك، فانظر كيف تجيء البلاغة خفيّةً سهلةً في تفسيره. تخصيص الخير بأنه من عند الله –سبحانه– في قوله –تعالى–: ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم﴾ [البقرة: 62]؛ دلالةً على الشرف [6: ج198/1].

وقف السعدي أحياناً على أكثر من نكتة بلاغيّة في آية واحدة، وقد خلا تفسيره لبعض الآيات من أي لفتات بلاغية، ولعل هذا عائد إلى ما يقتضيه سياق الكلام في التفسير، وبحسب ما يرتضيه الشيخ ويجده مناسبًا للطرح وذا أولوية، فمن الآيات التي جمع في تفسيرها بين بلاغة الحرف والمفردة في آن واحد، قوله –تعالى–: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: 3]: قال السعدي:« وأتى بـــ (من) الدالة على التبعيض؛ لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءا يسيرا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم»] 6: ج36/1] وهذه إشارة إلى بلاغة الحرف، وقال في تفسير الآية نفسها: « (يقيمون الصلاة) لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة. فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهرا، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها. وإقامتها باطنا بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها» وهذه إشارة إلى بلاغة المفردة، ودقة المفردة هاهنا تعود لعلة معجميّة.

المبحث الثاني: علم المعاني.

إن أصل علم المعاني نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني، فعلم المعاني من خلال نظرية النظم هو العلم الذي تؤدي به الكلام حتى يكون مطابقاً لمقتضى الحال من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وقصر وإيجاز وإطناب.]7: 61]

وقال السكاكي: «علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره» [8: 84].

وقد أشار السعدي إلى مسائل علم المعاني في خمسة وثلاثين موضعًا، تسع إشارات منها إلى باب الإيجاز والإطناب، وتسع منها إلى باب التعريف والتنكير، وسبع إلى باب الحذف والذكر (كلها دائرة على الحذف، ليس للذكر فيها نصيب)، وأربع إلى الاستفهام الذي هو من باب الإنشاء (لم يُشر إلى بلاغة أي أسلوب إنشائي آخر)، وثلاث إلى باب التقديم والتأخير (كلها للتقديم ولم يشر إلى التأخير أبدًا)، وإشارتان إلى أحوال الإسناد الخبري، وإشارة واحدة إلى باب القصر. هذا الإحصاء مرتب تنازليًا، وسيأتي بيانها على وجه التفصيل وفق هذا الترتيب.

حاز باب الإيجاز والإطناب على تسع إشارات كما مر سابقًا، ويستوي في هذا العدد مع باب التعريف والتنكير، وهو العدد الأكبر من بين أبواب علم المعاني، ولم يكن للإيجاز سوى موضعين فقط، أحدهما لم يصرح به، إنما فصّل المذكورات في الآية، وكأنه يشير من خلف السطور إلى كثرة ما دلّت عليه الآية، في قوله –تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البقرة:25]: « ففي هذه الآية الكريمة، ذكر المبشِّر والمبشَّر، والمبشَّرَ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

به، والسبب الموصل لهذه البشارة»[6:ج1/49] وهذا الآية من الآيات التي تعددت فيها الإشارات، أما الموضع الثاني فجاءت الإشارة بوصف الآية بالإيجاز في ختام تفسيرها، وذلك في قوله –تعالى-:﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾[البقرة: 133]، «قد اشتملت هذه الآية الكريمة –على إيجازها واختصارها– على أنواع التوحيد الثلاثة...، وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم...»[6:ج1/97]، ومن قوله هذا ننتقل إلى الحديث عن الإطناب الذي ورد في سبعة المواضع الباقية؛ لأن الآية اشتملت على النوعين، فهي على إيجازها أتت على أسلوب من أساليب الإطناب، وهو التخصيص بعد التعميم، وذكر هاهنا فائدته (الدال على الفضل)، وأشار إلى هذه الطريقة في الإطناب في تفسير قوله –تعالى- ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ [البقرة: 4]، فقال–رحمه الله-:«(الآخرة) اسم لما يكون بعد الموت، وخصه بالذكر بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل»[6:ج1/37]، وفي قوله –تعالى-: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير﴾ الآية [البقرة:215]، قال: «لما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف، لشدة الحاجة، عمم تعالى فقال: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) من صدقة على هؤلاء وغيرهم، بل ومن جميع أنواع الطاعات والقربات؛ لأنها تدخل في اسم الخير» [6:ج1/158–159]، ومن باب عطف العام على الخاص ما جاء في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ «أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه»[6:ج1/143]، ، وقال: «(وَالْفَحْشَاءِ) من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الفحشاء من المعاصي، ما تناهى قبحه» [6:ج1/124]، في تفسير قوله –تعالى-: ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾ [البقرة: 268]، وأشار إلى الإجمال بعد التفصيل في تفسير قوله –تعالى-: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [البقرة:163]: «هذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى، ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأرض...)»[6:ج1/119]، [البقرة: 164]، وإلى التكرار في قوله –تعالى-: ﴿ تلك أمة قد خلت﴾ الآية [البقرة: 141]: -:«كررها؛ لقطع التعلق بالمخلوقين»[6: ج1/101]، وإلى الاحتراز في تفسير قوله –تعالى-: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ [البقرة:145]: «(إِنَّكَ إِذًا) أي: إن اتبعتهم، فهذا احتراز، لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام»[6:ج1/106]

بلغ عدد إشارات التعريف ست إشارات، وثلاثًا للتنكير، فتكون بمجموعها تسع إشارات –كما مر–، منها ما عبّر عنه بالقول الصريح، ومنها ما لا يُدرك إلا بطول تأمل، كما ذكر السر البلاغي في معظمها، فمن التنكير للتعظيم قال تعالى: ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5] أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم»[6:ج1/37]، والعموم: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: 81] وهو نكرة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه»[6:ج1/73]، وللتعظيم مرة أخرى، وللتكثير في تفسير قوله –تعالى-: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ [البقرة: 179]: « نكَّر (الحياة)؛ لإفادة التعظيم والتكثير»[6:ج1/113]، كلها إشارات صريحة بذكر مصطلح التنكير، وذكر فيها العلة أو السر البلاغيّ، أما التعريف فأشار إلى التعريف بالإضافة في موضعين، قوله –تعالى-: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى﴾ [البقرة: 125] «ويحتمل أن يكون المقام مفردا مضافا، فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها»[6: ج1/91]، وفي الآية نفسها قال –تعالى-: ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي﴾،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

قال السعدي : « أضاف الباري البيت إليه لفوائد، منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله...، ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف، ...ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه»[6:ج91/1]، أما التعريف باللام فأشار إليه في موضع واحد في تفسير قول الله –تعالى–: ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: 177]، قال السعدي : «(وَالْكِتَابِ) أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على رسوله، وأعظمها القرآن... (وَالنَّبِيِّينَ) عموما، خصوصا خاتمهم وأفضلهم محمد –صلى الله عليه وسلم–[6:ج129/1]، بقيت ثلاثة مواضع ربما تكون من باب التعريف بالإضمار الذي يُخاطب به المعين ويُقصد به العموم (أي أن كل من يصح منه الفعل فهو داخل في الخطاب)، موضعان لفعل التبشير، قال –تعالى–: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البقرة: 25] «أي: بشر أيها الرسول، ومن قام مقامك»[6:ج148/1]، وقوله –تعالى–: ﴿ وبشر المؤمنين﴾ [البقرة: 223] «لم يذكر المبشر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضير، رتب على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة»[6:ج167/1]، والموضع الأخير قول الله –تعالى–: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [البقرة: 120]، قال السعدي: «والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب»[6:ج89/1].

تنوعت الإشارات إلى الحذف ما بين حذف جملة أو حذف مفعول أو متعلق، وتارةً يُصرّح السعدي بالحذف، كقوله في تفسير قول الله –تعالى–:﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة:2]: «(هُدًى) وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين»[6:ج35/1]، وتفسير قوله –تعالى–: ﴿فإن خفتم فرجالا أو ركبانا﴾ [البقرة: 239]: «(فإن خفتم) حذف المتعلق ليعم الخوف من العدو والسبع وفوات ما يتضرر العبد بفوته»[6:ج178/1]، وقوله –تعالى–: ﴿أنفقوا مما رزقناكم﴾ [البقرة: 254]: «يحث الله المؤمنين على النفقات في جميع طرق الخير؛ لأن حذف المعمول يفيد التعميم»[6:ج185/1] هذه ثلاثة مواضع ورد فيها مصطلح الحذف والمحذوف صراحةً، وتارةً يُقدّر محذوفًا دون أن يذكر أن ثمة حذفًا هنا، كقوله في تفسير قول الله –تعالى–: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ [البقرة: 83]: «أي: أحسنوا بالوالدين إحسانا، وهذا يعم كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم[6:ج73/1] وقول الله –تعالى–: ﴿ومن حيث خرجت فولّ وجهم شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة: 23]، قال السعدي: «(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم»[6:ج108/1]، وقول الله –تعالى–: ﴿ لهم فيها أزواج مطهرة﴾ [البقرة: 25] «فلم يقل مطهرة من العيب الفلاني؛ ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان...» [6:ج49/1] هذه ثلاثة مواضع أخرى، يبقى موضع أخير ألمح فيه السعدي إلى الحذف عمومًا، قال: «(وَاسْمَعُوا) لم يذكر المسموع، ليعم ما أمر باستماعه، فيدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة»[6:ج82/1] في تفسير قوله –تعالى–: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ [البقرة: 93]. كرر لفظ العموم باشتقاقات متعددة، وهذه إشارة إلى السر البلاغيّ وراء الحذف.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تحدّث السعدي عن أسلوب الاستفهام من بين أساليب الإنشاء كلها، وجاء في أربعة مواضع، ولعل هذا عائد إلى غنى هذا الأسلوب بالمعاني الجمة والمختلفة التي يتوقف فهم المراد من الآية على فهم المعنى الذي خرج إليه الاستفهام، فقد جاءت الإشارة إليه صريحة في موضعين؛ بذكر مصطلح الاستفهام ومعناه، الأول في تفسير قوله –تعالى-: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم﴾ [البقرة: 27]، قال–رحمه الله-: « هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار»[6:ج52/1]، والثاني في قوله –تعالى-: ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ [البقرة: 266]، قال: « فهذه الحال من أفظع الأحوال، ولهذا صدّر هذا المثل بقوله: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ) إلى آخرها بالاستفهام المتقرر عند المخاطبين فظاعته»[6:ج193/1-194]، وجاءت الإشارة غير متجلية تمامًا لكن تُفهم من السياق وبأداة الاستفهام في الموضعين المتبقيين؛ قال السعدي: « قال على سبيل التعجب المتقرر للعقول الزكية ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: 138]»[6:ج98/1]، والأخير في تفسير قوله –تعالى-: ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل﴾ [البقرة: 140] «وهذه دعوى أخرى منهم، ومحاجة في رسل الله، زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين، فرد الله عليهم بقوله:(أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ)...، فإما أن يكونوا، هم الصادقين العالمين، أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا محالة، وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه – من وضوحه – لم يحتج أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلائه لكل أحد، كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟ والنار أحر أم الماء؟ والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو ذلك»[6:ج100/1]، وفي هذا الموضع يلاحظ قياسه السؤال بسؤال عقلي بدهي مستعمل في حياة الناس اليومية (الليل أنور أم النهار؟...)؛ لتقريب المعنى وزيادة إيضاحه، ولا سيما لمن لا يعرف من أسلوب الاستفهام إلا طلب الجواب.

وردت إشارات التقديم الثلاث بصورة صريحة ذُكر فيها مُصطلح التقديم، وتداخلت بعض الشيء مع باب القصر، الموضع الذي برز فيه البابان معًا هو في تفسير قول الله –تعالى-: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ [البقرة: 138]، قال السعدي : «(وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) بيان لهذه الصبغة، ...فتقديم المعمول، يؤذن بالحصر [6:ج101/1] »عبّر بمصطلح التقديم صراحة وحدد المقدم، وعبّر بلفظ الحصر صراحةً و«القصر هو الحصر» [9: 393] ، وقد وقف السعدي على عدة لطائف بلاغيّة في هذه الآية. الموضعان المتبقيان صرّح فيهما بالتقديم أيضًا، وذكر في أحدهما أنه يفيد الاختصاص، والاختصاص هو المعنى الأساسي الذي يُفيده القصر، وهو غرض من أغراضه، والتقديم طريقة من طرائق القصر، قال السعدي :﴿ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125] أي: المصلين، قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد الحرام ، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقا، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى[6:ج91/1] أما الثاني فالاختصاص يُفهم من المعنى والسياق؛ قال السعدي: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133] أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة؛ بدليل تقديم المعمول، وهو (لَهُ) على العامل وهو (مُسْلِمُونَ)»[6:ج97/1]، معاني الإخلاص والعبادة لا تكون إلا لله –سبحانه- وهي خاصة به، والسعدي قصد هذا المعنى دون ذكر مصطلح أو لفظ التخصيص، لكنه

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فُهم؛ لاستحالة أن يختص أحد غير الله بهذا، ولأنه دلل على هذا المعنى بالتقديم، فعلى أي شيء يكون التقديم دليلًا إن لم يرد الاختصاص؟!.

جاءت الإشارة إلى باب أحوال الإسناد الخبري في موضعين، الأول في حشد التوكيدات مع التكرار في آيات تحويل القبلة [البقرة: 149–150]، قال السعدي : «كان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة...؛ فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات التي تضمنتها هذه الآيات، منها: الأمر بها، ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة، ومنها: أن المعهود أن الأمر، إما أن يكون للرسول فتدخل فيه الأمة تبعا، أو للأمة عموما، وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله:(فَوَلِّ وَجْهَكَ)، والأمة عموما في قوله:(فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ)...»[6:ج1/109]، والتوكيد –كما مر– يزيد بحسب حال المخاطب ودرجة إنكاره، وهو من الضرب الإنكاري، أما الموضع الثاني فربما يكون من باب إنزال غير المنكر منزلة المنكر افتراضًا؛ لأن فعله يُشبه الإنكار، وذلك في قوله –تعالى–: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية [البقرة: 158]، قال السعدي : «هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما؛ لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام، فنفى تعالى الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم، ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة، بخلاف الطواف بالبيت، فإنه يشرع مع العمرة والحج، وهو عبادة مفردة»[6: ج1/116]، والتوهم هاهنا بمنزل الإنكار، والله أعلم. الباب الأخير باب القصر، أشار إليه في موضع واحد، وسبق بيانه في الحديث عن باب التقديم.

المبحث الثالث: علم البيان

يعد علم البيان أداة من أدوات الكشف عن المعاني؛ فلا غنى للمفسر عنه، وأسلوب القرآن الكريم حافل بالتشبيهات والاستعارات والمعاني المجازية وغير ذلك، قال الزمخشري : «إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح عن غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم»[10: 3]، ويبرز هاهنا سؤال: كيف يكون لعلم التفسير مزية عن غيره في احتياج المتصدر له علومًا أخرى؟ الجواب: «الفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرّيّة أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوّة لحييه، لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة اللَّه، وحرص على استيضاح معجزة رسول اللَّه بعد أن يكون آخذًا من سائر العلوم بحظ»[10: 3]، فانظر كيف اشترط السعدي البراعة والأناة في تحصيلهما، وهذا قدر زائد عن مجرد المعرفة.

لم يخلُ الأسلوب القرآني من تشبيهات وكنايات واستعارات واستعمال للألفاظ في معانٍ مجازيّة، ولهذا السبب؛ يستحيل أن تخلو سورة البقرة – وهي أطول سور القرآن– من ورود هذه الأساليب فيها، إلا أنني لم أجد إشارات

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

السعدي إلى هذا العلم واضحة، بل إنه قد يمر على الآية دون أن يقف عند التشبيه طويلًا؛ ولعله اكتفى بوضوح الأسلوب القرآني –ولاسيما في التشبيه–، وبالتفسير العام للآية واستنباط هداياتها، وحصر الآيات التي تبرز فيها البلاغة منها ليس بالأمر الهيّن، لذا أكتفي بحصر أبرز المواضع وعرضها من بين كل الصور البيانية، وهي سبعة مواضع، موضعان من باب الاستعارة، والخمس الباقيات كلها من باب التشبيه، أمّا الاستعارة ففي قوله –تعالى–: ﴿اشتروا الضلالة بالهدى﴾ [البقرة: 16]، قال السعدي: «أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري في السلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأموال النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم»[6:ج43/1]، وهذا شرح شافٍ كافٍ، لكنّه عدَّه مثالًا وهو إلى الاستعارة أقرب[01:ج69/1]، والموضع الثاني في قوله –تعالى–:﴿صبغة الله﴾[11:ج744/1] [البقرة: 138]، قال : «أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه...، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة» [6: ج98/1]، أما التشبيه ففي ثلاثة مواضع كانت الإشارة إلى التشبيه صريحة واضحة، في قول الله –تعالى– : ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا﴾ الآية [البقرة: 17]، وقوله –تعالى–: ﴿أو كصيّب من السماء﴾ [البقرة: 19]، وثلاث آيات في وصف أحوال المنفقين [البقرة: 264–266]، وذكر فيها جميعا –زيادة على الشرح– أوجه الشبه أو الغاية من التشبيه، في الأول قال: « فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فاستضاؤوا بها مؤقتًا وانتفعوا؛ فحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم كذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور»[6:ج144/1]، والثاني « فهكذا حالة المنافقين، إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده»[6:ج144/1]، والثالث «وهذه الأمثال الثلاثة، تنطبق على جميع العاملين، فليزن العبد نفسه وغيره بهذه الموازين العادلة، والأمثال المطابقة»[6:ج193/1–194]، في الموضع الرابع اكتفى بذكر وجه الشبه فقط، وهو الملمح الوحيد للتشبيه –غير الأداة المذكورة في الآية–، وذلك في تشبيه القلوب بالحجارة[البقرة: 74]، قال : «ثم وصف قسوتها بأنها (كالحجارة)»[6:ج96/1]، الموضع الخامس والأخير في تشبيه النفقات بالسنابل[البقرة: 261]، وجاء التشبيه في الآية صريحًا (كمثل حبة)، مع ذلك لم يقف السعدي طويلًا عند التشبيه، بل كان تفسيره عامًا في هدايات الآية؛ ولعله اكتفى بوضوح أسلوب القرآن وكون المشبه به أمرًا حسيًا يُرى رأيَ العين ويعرفه جميع الناس، واكتفى بذكر وجه الشبه أو العلاقة بين النفقة والسنبلة التي تتضاعف بقوله : «فهذه النفقات مضاعفة هذه المضاعفة بسبعمائة إلى أضعاف أكثر من ذلك»[6:ج92/1].

خلا تفسير سورة البقرة من أي إشارة أو ملمح إلى فنون علم البديع –على جلالته وجلالة التفسير–، ولعل مردّ هذا إلى كونه تفسيرًا مختصرًا موجهًا إلى عامّة الناس، فلم تبرز له حاجة في العناية به، واكتفى بما لا يُكشف لثام المعنى إلا بهما.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المبحث الرابع: التناسب.

يُعرف التناسب بأنه «علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور بعضها ببعض، حتى تعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم»[12: 18]، وله وجوه عدة، فمنه ما يكون على مستوى سور القرآن وترتيبها، ومنه ما يكون على مستوى السورة نفسها وآياتها[13: 26]، قال البقاعي: «وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النّفاسة»[13: 14]، وقال: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة لفظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته»[9 :14-14]، كما أن له ثمرات ومنافع، منها: دفع شبهة التكرار، وإدراك التلازم بين الأحكام، والربط بين الآيات،ولا سيما لحفظة القرآن الكريم، لأن الربط ييسر عملية الحفظ والمراجعة[13: 20-21].

لم يخلُ تفسير السعدي من الإشارة إلى التناسب على قلة إيراده مقارنةً بعدد آيات السورة، ومكانة السورة وفضلها، واقتصر على نوعين من أنواع التناسب فقط؛ ولا شك في أهمية الإشارة إلى بلاغة التناسب؛ تحقيقًا للغاية المنشودة من التفسير في أن يكون مناسبًا للعامة والخاصة.

أشار السعدي إلى التناسب في تفسير سورة البقرة اثنتي عشرة مرة، أربع مرات في التناسب بين الآيات، وثماني مرات في مناسبة مطالع الآيات وخواتيمها، جاءت الإشارة إلى المناسبة بين الآيات ضمنية تُفهم من السياق ومن التعبير بأسلوب الجملة الشرطية (لما ذكر كذا؛ ذكر كذا -على سبيل المثال-)، الموضع الأول في تفسير قوله -تعالى-: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ الآية [البقرة: 154]، قال السعدي : «لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأحوال، ذكر نموذجا مما يستعان بالصبر عليه وهو الجهاد...» [6: ج112/1]، ذكر إيتاء الله الحكمة لمن يشاء بعد ذكر أحوال المنفقين الذين آتاهم الله المال[6:ج195/1]، وفي قول الله -تعالى-: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا﴾ الآية [البقرة: 165] قال : « ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته ...، ذكر هنا أن(مِنَ النَّاسِ) مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله»[6:ج122/1]، والإشارة إلى التناسب هاهنا أوضح من سابقتيها، لتصديره الكلام بالإشارة إلى اتصال الآيات بعضها ببعض، الموضع الأخير ذكر آيات الربا بعد آيات الإنفاق[6:ج198/1]

أما التناسب بين خواتيم الآيات ومطالعها فقد جاء جليًا واضحًا، بل وصرّح بالمناسبة في أحد المواضع؛ في آية استثناء المضطر بإباحة أكل المحرم [البقرة:173] قال السعدي: «هذه الإباحة والتوسعة، من رحمته تعالى بعباده؛ فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال:(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)» [6:ج127/1]، وقال – رحمه الله-: ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة:218] إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها...، بل يرجو رحمة ربه...؛ ولهذا قال:(اللهُ غَفُورٌ) أي: لمن تاب توبة نصوحا (رَحِيمٌ) وسعت رحمته كل شيء»[6:ج162/1]، وفي آية تحريم الخمر والميسر[البقرة:219]: «لما بيّن تعالى هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه قال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾، أي: الدالات على الحق، المحصلات

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

للعلم النافع والفرقان»[6:ج1/163]، وآية تحريم قربان النساء عند المحيض [البقرة:222]: «ولما كان هذا المنع لطفا منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي: من ذنوبهم على الدوام ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث»[6:ج1/166]، وآية الصيام «ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لعلكم تتقون﴾ [البقرة: 183]؛ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى»[6: ج1/136]، والأمر بالنفقة« ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعًا من أنواع الإحسان؛ أمر بالإحسان عمومًا فقال: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: 195]، وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان»[6:ج1/144].

5- الخاتمة

الحمد لله أولًا وآخرًا، ثم الصلاة والسّلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وبعد:

نخلص مما سبق إلى النتائج الآتية:

- بلغ عدد الإشارات البلاغيّة الواردة في سورة البقرة 71 إشارة.
- عدد الآيات التي وردت فيها إشارات بلاغية 48 آية من أصل 286 آية.
- وقف السعدي على أكثر من إشارة في بعض الآيات، وهي ست آيات من أصل 48 آية.
- أكثر الإشارات البلاغيّة الواردة في سورة البقرة كانت من علم المعاني، حيث بلغ عددها ٣٥ إشارة.
- وضوح الإشارات البلاغية المتعلقة بعلم المعاني؛ لذكر مصطلحات هذا العلم بلفظ صريح، في حين أن إشارات علم البيان لم تكن بارزة.
- رسم السعدي لنفسه منهجًا في ذكر الإشارات البلاغية، حيث اكتفى بذكر الباب البلاغي الذي تنتمي له الإشارة، أو ذكر السر البلاغي، أو تقدير أمر ما، ولم يقف عند تفاصيل المسألة البلاغية؛ ولهذا سُمّيت بالإشارة.
- شمولية منهج السعدي في إيراد البلاغة، حيث تناول جميع علوم البلاغة، ولم يغفل سوى علم البديع، ولعله اكتفى بالعلمين اللذين يُكشف بهما عن المعنى الجوهريّ؛ لأن المقام لا يسمح بالإطالة، فهو تفسير شامل وعام، وغير متخصص بالبلاغة، كما أنه تناول بلاغة المفردة والتركيب، مراعيًا جميع المستويات (الصرفي، المعجمي، التركيبي)، ولم يتطرق للمستوى الصوتي.
- كان من منهج السعدي في إيراد البلاغة، أن يأتي بها موضحة وشارحة وداعمة للتفسير، فليست هي المقصودة ابتداء، ولكنه لم يستطع أن ينفك عنها؛ لذلك لم يلزم نفسه بأن يقف على بلاغة كل آية.
- لم تشمل منهجية السعدي في إيراد المسائل البلاغية آيات الأحكام (الجزء الثاني)، ولعل ذلك عائد إلى ضرورة خلوص التفسير لبيان الحكم وحده، وتوضيحه والتركيز عليه، دون الوقوف على بلاغة الآية مع وجودها.
- غلب على أسلوب السعدي في إيراد البلاغة الاختصار والإيجاز.
- اتسم أسلوب السعدي باليسر والقرب إلى أفهام العامة عند ذكر الإشارات البلاغية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

- مناسبة القدر البلاغيّ الموجود في تفسير السورة مقارنةً بمقصد التفسير، فهو على قلته في غاية الأهمية.

التوصيات:

- الالتفات إلى تفسير السعدي من الناحية البلاغية؛ لأنها يسيرة الفهم ومختصرة، وتُقرّب البلاغة من الجميع، فالقارئ للتفسير يفهم ما كُتب، لكنه قد لا يعي أن هذا متصل بالبلاغة.
- إتمام دراسة بقية السور.
- استخلاص جميع الإشارات البلاغيّة الواردة في التفسير كاملًا، وإفرادها في مصنف قابل للطباعة والنشر، وييسر الوصول إلى لفتات السعدي البلاغيّة بصورة مستقلة ومنظمة.
- إجراء دراسات على نمط هذه الدراسة من نواحٍ أخرى وردت في التفسير، مثل: الإشارات المعجمية، الإشارات الواردة في دلالة السياق، الإشارات النحوية –إن وجدت وشكّلت ظاهرة–، ولغير المتخصصين في اللغة العربيّة: الإشارات الفقهية، الإشارات العقدية، الإشارات الأصوليّة، ونحو ذلك (وربما لا تكون مجرد إشارات؛ لكونها مقصودة في التفسير ابتداءً، لكن تُجمع وتُفرد وتُدرس).

هذا ما تيسّر تقديمه، وهو جهد المُقل، إن كنا قد أصبنا فمن الله وبفضل الله وحده –سبحانه–، وإن كنا قد أخطأنا فمن أنفسنا، نسأل الله أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه.

مسرد المصطلحات البلاغيّة

المصطلح	التعريف
الاستعارة	((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))[8: 369].
الاستفهام	((الاستفهام أحد أنواع الطلب استفعال، فهو طلب الفهم، وقد يخرج عن ذلك لتقرير أو غيره)) [9: 423]
الإسناد	((الإسناد الذى اصطلح عليه النحاة هو تعليق خبر بمخبر عنه، أو طلب بمطلوب منه))[9: 112] .
الإطناب	((أداؤه –أي الكلام– بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة على الجمل أو على غير الجمل هذا)) [8: 277].
الإنشاء	كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[14: 196] .
الإيجاز	((الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط)) [8: 277].
البلاغة	((بلاغة الكلام هي مطابقته لمتقضى الحال مع فصاحته)) [15: ج1 / 41].
التشبيه	((التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس)) [8: 322].
التعريف	أي: ((إيراد المسند إليه معرفة))[15: ج1 / 9].
التناسب	((علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور بعضها ببعض، حتى تعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم)) [12: 18]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

التنكير	((أي الإتيان –أي المسند إليه–به نكرة سواء كان مفردًا أو مثنى أو جمعًا)) [15: ج2 / 35].
الحذف	حذف المسند إليه أو أحد أجزاء الجملة، مع وجود القرينة، ووجود سر بلاغي يدعو إلى الحذف [16: 97].
الذكر	حالة من حالات المسند إليه، و((قد توجد في الكلام القرينة القوية التي تدل على المسند إليه لو حذف، لكن المتكلم لا يحذفه، بل يذكره على الرغم من وجود تلك القرينة القوية؛ وذلك ليحقق غرضًا من الأغراض))[16: 108].التي يُفيدها الذكر.
علم البديع	((ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته)) [16: 50].
علم البيان	((محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه)) [12: 329].
علم المعاني	((هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)) [8: 161].
القصر	((تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان)) [8: 288].
ركنا الجملة: المسند و المسند إليه	((وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّمُ منه بداً. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيُّ عليه)) [8: 23].، ((فالمسند إليه هو المتحدث عنه ولا يكون إلا اسما، والمسند هو المتحدث به ويكون فعلا أو اسما، وهذان الركنان هما عمدة الكلام وما عداهما فضلة أو قيد))[17: ج14/1].
النظم	((هو توخي معاني الإعراب...، ولا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب تلك)) [18: 55].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

رسم توضيحي

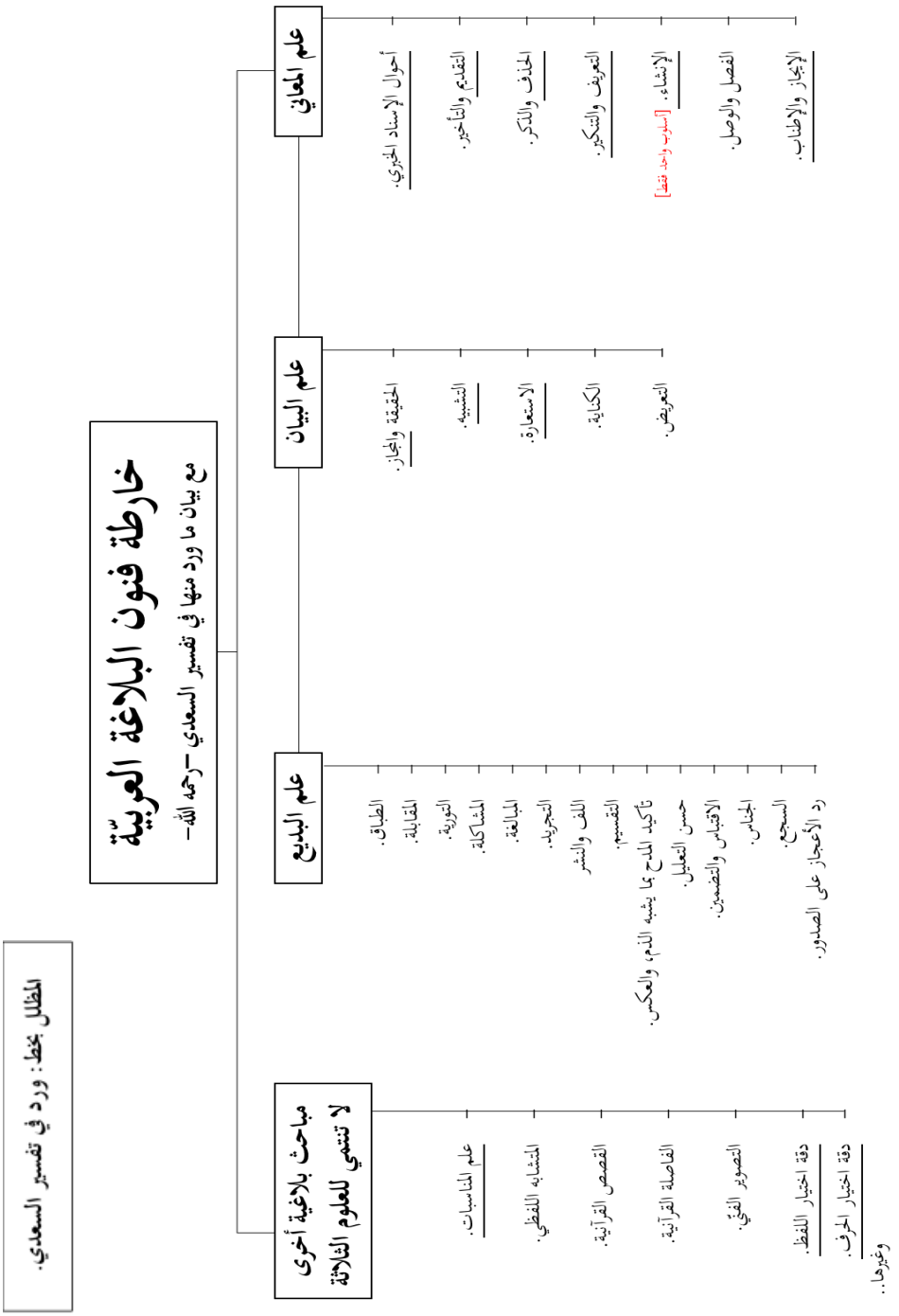

رسوم بيانية وإحصاءات

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

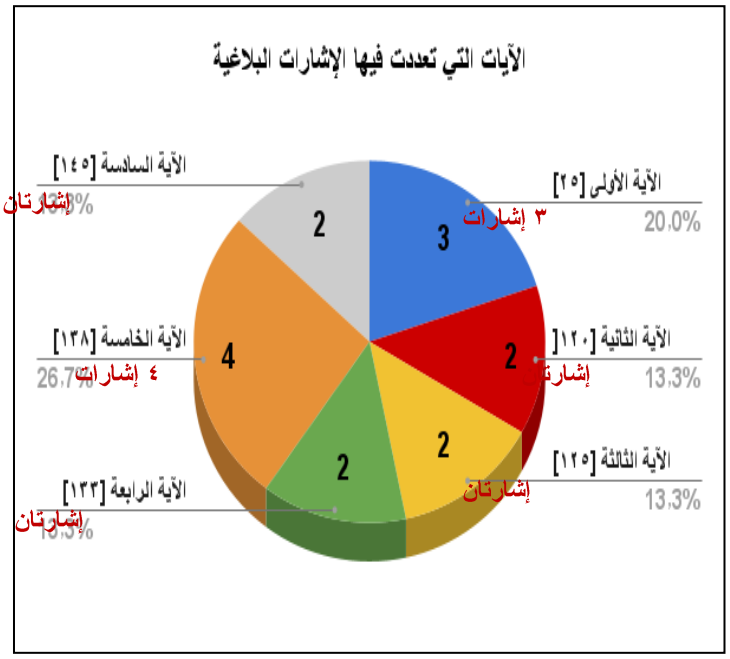

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع:

[1] خير الدين الزركلي، الأعلام ط 5 دار العلم للملايين, 2002م.

[2] القاسم الحريري، ملحة الإعراب ، ط1، القاهرة: دار السلام، 1426هـ.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل ، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ – 2001م.

[4] ابن السراج، الأصول في النحو، ت: عبدالحسين الفتلي، (د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د. ت).

[5] عبدالله دراز، النبأ العظيم، ط3، القاهرة: مكز إبصار للنشر والتوزيع، 1439ه–2018م.

[6] عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ط5، الدمام: دار ابن الجوزي، 1440ه.

[7] سحر سليمان ميسر، المدخل إلى علم الأسلوبية والبلاغة العربية، ط1، دار البداية، 1432.

[8] السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407ه–1987م.

[9] بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: عبدالحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية – بيروت، 1423هـ – 2003م.

[10] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.

[11] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس،1984.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[12] عادل أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد125، عام1425ه.
[13] فايز السريح، البينات في علم المناسبات، (د.ط)، (د. ن)، (د. ت).
[14] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط2، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 2007م.
[15] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد خفاجي، ط3، بيروت: دار الجيل، (د. ت).
[16] بسيوني عبدالفتاح فيود، علم المعاني، ط4، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1436ه-2015.
[17] سيبويه، الكتاب، ت: عبدالسلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1408ه-1988م.
[18] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، (د. ط)، القاهرة: مكتبة الخانجي، (د. ت).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq